

قراءة في سوسيولوجيا الإعلام و الأسرة

د. محمد بعلي

أستاذ محاضر بكلية العلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم

مقدمة :

تتفق طبيعة الاتصال في أي مجتمع في تحقيق الذات في كل السلوكات التي يتطلبها خارج محيطه، إذ يفرض هذا الأخير علاقة متينة بتكوين الفرد وتطور الجماعة وبالحرية والديمقراطية، واختيار النظام السياسي والاجتماعي، أي أن الحق في الاتصال هو الحق في الديمقراطية وممارسة متطلباتها ومزاياها⁽¹⁾.

ومادام أن الأسرة نواة المجتمع، لما لها وعليها من واجبات اجتماعية بتزويد أبنائها بالخبرات الممكنة من خوض غمار التغيرات الحاصلة على مستوياتها المعنوية و المادية، فالغاية إذاً منها تنشئة اجتماعية نبيلة وفق نمط فكر عقلي متعلم، كما أشار إليه بارسونز (PERSSONS) بأنها عبارة عن عملية تعلم تعتمد على التلقين والمحكاة والتوحد مع الأنماط العقلية و العاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد، وهي عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية⁽²⁾. بينما يراها الآخر "بأنها العملية التي يصبح بها الفرد عضواً في مجتمع الكبار يشاركونهم نشاطاتهم ويمارس حقوقه وواجباته"⁽³⁾.

فإننا سنحاول من خلال هذه المقالة رصد قراءة سوسيولوجيا حول الأسرة من خلال التركيز على مدلول التربية القيمية وما تعايشه من تغيرات داخلية نتيجة للوسائط الإعلامية .

1 - التربية الإعلامية :

قبل التطرق إلى تحديد مفهوم التربية الإعلامية، ينبغي في تقدير الباحث تحيد مفهوم التربية والإعلام ولو بشكل مقتضب لإيضاح الرؤية :

أ- التربية :

التربية في أصلها اللغوي مأخوذة من الفعل "ربى" أي غذى الولد وجعله ينمو وربى الولد هذبه ، فأصلها "ربا" يربو أي زاد ونما⁽⁴⁾ أما من الناحية الاصطلاحية، فقد عرفت عدة تعريفات مثلاً، تعرف حسب الباحث - تركي رايح- بأنها " عملية تكيف ما بين الفرد وبيئته"⁽⁵⁾، أي تعديل الإنسان لسلوكه العام، ولاتجاهاته تعديلاً إيجابياً مع بيئته (الاجتماعية والطبيعية) وهذا حتى يستطيع التكيف مع الآخرين، وكذا التكيف مع بيئته الطبيعية، التي يعيش فيها، إذا الوظيفية الأساسية للتربية هي أن تجعل الفرد يتهيأ مع البيئة التي تحيط به.

وفي نفس الصدد يشير كل من -أحمد حسي اللقاني - و- فارعة حسن محمد- بأن التربية بوجه عام تعني بأشياء كثيرة محصلتها النهائية تظهر سلوكيات مرغوب فيها ،و بالتالي فإن الإنسان إذا كان قد اعتاد أن تصدر عنه سلوكيات غير سليمة بل وغير أخلاقية أحياناً، فإن هذا يعني الحاجة إلى تعديل مسارات السلوكيات الإنسانية نحو البيئة"⁽⁶⁾.

وفي سياق آخر يشير - جورج كنلر - G. Kneller، " بأن التربية هي العملية التي يكتسب الفرد من خلالها المعرفة، وينمي على أساسها الاتجاهات والسياسات وتنقسم التربية إلى قسمين : **التربية السليمة** من خلال الدراسة المنظمة بمراحل التعليم المختلفة، و**التربية غير السليمة** التي تقوم على اكتساب الخبرات المتعددة بالاستعانة بوسائل الاتصال المختلفة"⁽⁷⁾، "فالتربية نظام اجتماعي له وظائفه في المجتمع وتعددتها خاصة في المجتمع الحديث بنقل التراث الثقافي والحفاظ عليه للأجيال القادمة، بتكيف الأفراد لما يحدث من تغيرات بإثارة القدرة على النقد العقلاني في الابتكار والاختراع، فهو ليس صورة لثقافة المجتمع بل المؤسسة تقوم على تنمية ملكاته وإطلاق طاقاته"⁽⁸⁾.

ب- الإعلام :

كلمة الإعلام مشتقة من العلم، تقول العرب استعمله الخبر فاعلمه أياه يعني صار يعرف الخبر بعد أن طلب معرفته. فلغويا: يكون معنى الإعلام نقل الخبر، وهو نفس المعنى الذي يطلقه العلماء على عملية الإعلام يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة: "الإعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحفية والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة..."⁽⁹⁾، و يقول فرنان تيرو : " الإعلام هو نشر الوقائع والآراء في صيغة مناسبة بواسطة ألفاظ أو أصوات أو صور و بصفة عامة بواسطة جميع العلامات التي يفهمها الجمهور "⁽¹⁰⁾، ويقصد بالإعلام المعلومات من مرسل إلى متلقي، ويرمز الإعلام في الصحافة إلى ما تبثه وسائل الاتصال من صحافة مكتوبة، إذاعة وتلفزيون من محتويات إخبارية ثقافية، اجتماعية، دينية وترفيهية إلى قطاع واسع من المجتمع. ويتضمن هذا التعريف عدة عناصر متداخلة تشكل هي الأخرى ما يسمى بالعملية الإعلامية وهي : المرسل :وهو القائم بعملية النقل أو الإبلاغ، وقد يكون المرسل رجل سياسة أو رجل إعلام أو داعية أو أية هيئة أخرى. الرسالة: وتمثل المضمون أو محتوى المعلومات. الوسيلة: وهي الأداة أو القناة التي يتم بواسطتها نقل الرسالة. المتلقي: وهو الجمهور أفراداً أو جماعات . وأخيراً رد الفعل : وهو الأثر الذي تحدثه هذه العملية سلباً أو إيجاباً⁽¹¹⁾ .

وفي الحقيقة الإعلام "مفهوم عصري، ينطبق خاصة على عملية الاتصال التي تستعمل الوسائل العصرية من صحافة وإذاعة وتلفزة، ولم يطلق قديماً كلمة الإعلام على عملية الاتصال بل عرف الدين الإسلامي نوعاً من الاتصال سمي التبليغ أو بالدعوة و هو اقرب إلى المفهوم العصري للإعلام وهي كلمة مستحدثة ترجمت من اللغات الأوربية وحاول واضعوها أن يؤدوا أحسن ما يمكن المعنى الذي نحمله الكلمة "⁽¹²⁾ . بحيث نجد أن " الاتصال الرمزي على سبيل المثال لا الحصر يُبنى على أساس الفرد في أفكاره و معانيه ومفاهيمه المتضمنة في الرموز "⁽¹³⁾.

2- التربية القيمية :

القيمة في اللغة مشتقة من الفعل "قام" بمعنى وقف، واعتدل، وانتصب، وبلغ واستوى، ومن العبارات الشائعة وصف الإنسان أو الشيء أو العمل، أو الدين بكونه قيماً، يعني مستقيماً، فالإنسان القيم هو المستقيم⁽¹⁴⁾. أي أن القيمة في اللغة العربية تعني الاستقامة، والاعتدال والاستواء. أما من الناحية الاصطلاحية، فقد شهد مفهوم القيمة ثراء كبيراً وتنوعاً من حيث المعاني، فعلى سبيل المثال تعرفها الباحثة "مفيدة محمد إبراهيم" بأنها "قواعد للسلوك وتنظيم العلاقة بين المجتمع وأعضائه، ولذلك تشكل القيم لتحقيق حاجات كل من الأفراد ومجتمعهم حتى صارت هذه القيم هي المعيار لمدى تقدم المجتمعات أو تخلفها، فكلما سمت القيم السائدة في المجتمع، كلما سما المجتمع أخلاقياً وتقدم مادياً ومعنوياً..."⁽¹⁵⁾. فهي إذا مجموعة من الأحكام والمعايير التي تنبثق عن مؤسسة ما، وتكون بمثابة موجهات للحكم على الأعمال والممارسات المعنوية والمادية، وتكون لها القوة والتأثير على المؤسسة بما لها من صفة الضرورة والإلزام والعمومية وأي خروج عليها أو لانحراف عنها يصبح بمثابة الخروج عن أهداف المؤسسة⁽¹⁶⁾. "فمن أهم وظائف التربية تدعيم وتأكيد القيم الأساسية والهامة في سيادة أفراد المجتمع للعمل على استقراره وتقدمه - الضبط الاجتماعي - وكذلك الاتجاهات والمعايير الاجتماعية والأنماط السلوكية المحددة ثقافياً"⁽¹⁷⁾. "فالقيم الحقيقة الوحيدة بنظر عالم الاجتماع هي دائما قيم مجتمع مخصوص، إنما المثل التي تتخذها جماعة من الجماعات وتنسب إليها، فالقيم والحالة هذه خاصة بمجتمع بعينه وبفترة زمنية تاريخية، لان القيم تتغير في الزمان و تتغير من مجتمع لآخر"⁽¹⁸⁾. كانت بداية المفكر الجزائري عزي نحو بناء فكر اتصالي أصيل، أو " فكر إعلامي حضاري متميز " كما يصفه هو، بداية - في تقديرنا - جد مهمة وملفته فقد سعى نحو وضع لبنات التأمل المستقل عن الأفكار والمفاهيم المتعارف عليها، والسائدة ساحة الفكر الاتصالي، وهي كلها مفاهيم ومناظير استندت إلى واقع وتجارب، وبنيت على معايير غربية الأساس.

التأمل لكتابات عزي المختلفة حول الظاهرة الاتصالية والإعلام، لن يفشل في التعرف على القاعدة القيمية الثابتة التي تستند إليها تحليلاته وتفسيراته و رؤاه حول الاتصال "كظاهرة اجتماعية"⁽¹⁹⁾. إن معظم فصول كتابه المحتوى على نظرية الختمية القيمية، تغرق نفسها في العودة إل الآيات القرآنية لتفسير المفاهيم وعناصر الأفعال والسلوك الإنساني ذي الارتباط بالاتصال، بل إن بعضها يستوجب التوقف والتأمل لأنها بالفعل تجعل القارئ يعمل التفكير، من ذلك مثلاً طرحه لمفاهيم الحواس ودورها في العملية الاتصالية، إذ يربط عزي بين فهم تداخل الحواس في عملية الإدراك والتفسير للمدركات، بصورة من الصور القرآنية التي وردت في آية ربطت بين حاستين من حواس الإنسان وبين الخيال "والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً" (النور: 39/24)، فهو ينظر هنا إلى ذلك

التداخل الدقيق بين الحواس في عمليات الإدراك (أو الإحساس بالشيء) كما يسميه هو. ويرى عزى تلك الصلة الوثيقة بين التداخل بين الحواس، والوعي بما تنقله الحواس باستعمال العقل "كذلك يبين الله لكم آياته، لعلكم تعقلون" (البقرة: 242/2).

وفي تناوله لموقع السمع في الظاهرة الاتصالية، يوثق عزى فهمه لأبعاد هذا السلوك الاتصالي (السمع) باستلهم الآيات القرآنية التي تناولت السمع، مشيراً إلى تميز السمع من البصر، إذ ورد السمع إحدى عشرة مرة من القرآن، بينما ورد البصر ست مرات. وبينما يعيد التوكيد على أن الحاستين إنما هما من نعم الله، يشير إلى تميز السمع من البصر في تناول القرآني بالاستدلال بالآية الكريمة "ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون 42 ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون" (يونس: 43-42/10) مشيراً إلى أن الآية الكريمة ربطت الصمم بفقدان العقل، والعمى بفقدان البصر فحسب. كما يشير إلى أن العلم اليوم أثبت أن السمع يمثل نسبة 45 % من السلوك الاتصالي الإنساني.

فمن أهم الجماعات الإنسانية، وأعظمها تأثيراً في حياة الأفراد والجماعات، هي الوحدة البنائية الأساسية (الأسرة) التي تنشأ عن طريقها مختلف التجمعات الاجتماعية، وهي التي تقوم بالدور الرئيسي في بناء الصرح المجتمعي، وتدعيم وحدته، وتنظيم سلوك أفرادها بما يتلاءم مع الأدوار الاجتماعية المحددة، ووفقاً للنمط الحضاري العام"، ويعرفها **برجس لوك** (BURDJS Luck) مجموعة من الأشخاص يرتبطون معاً بروابط الزواج أو الدم أو التبني ويعيشون تحت سقف واحد،⁽²¹⁾ ويتفاعلون معاً وفقاً لأدوار اجتماعية محددة، ويحفظون على نمط ثقافي عام⁽²¹⁾. وهي الجماعة المعتبرة، والتي تنشأ برابطة زوجية بين رجل وامرأة، ثم يترفع عنها الأولاد، وتظل ذات صلة وثيقة بأصول الزوجين من أجداد وجدات، وبالحواشي من إخوة وأخوات وبالقرابة من الأحفاد (أولاد الأولاد) والأسباط (أولاد البنات) والأعمام و العمت والأخوال والحالات وأولادهم⁽²²⁾.

وتعتبر الأسرة أحد مقومات الوجود الاجتماعي في الحياة الإنسانية، ولذلك فهي نظام اجتماعي كسائر النظم الأخرى كالنظام الاقتصادي والسياسي، والنظام الديني، والنظام التربوي، فالأسرة نظام اجتماعي باعتبارها تتكون من مجموعة من الأفراد يعيشون ويعملون ويفكرون طبقاً لقواعد تنظيمية، وتستند إلى أوضاع ومصطلحات يقرها المجتمع. وهي بالتالي تتضمن مجموعة من المعايير والقواعد والعادات والتقاليد والعرف والآداب العامة التي تحقق لنا حقوقنا وواجباتنا، والتي تشير إلى الإمكانات والأدوار المكتسبة عن طريق الزواج و الولادة . فهي تساهم إذاً بنصيب كبير في نظم الجماعة بنقل التراث الاجتماعي من جيل إلى جيل عن طريق التنشئة الاجتماعية، فهي تشبه النظم الاجتماعية الأخرى، إلا أنها تتباين وتختلف من مجتمع إلى آخر على حسب الديانات السماوية لكل مجتمع، فنظم الزواج والموارث والطلاق متفاوتة مع بعضها البعض من خلال العملية الاتصالية التي تجري بينهم، فباعتبار أنها في المجتمع فهي متأثر وتتأثر بالنظم الاجتماعية الأخرى، كالنظام الاقتصادي، فإذا كان النظام الأسري فاسداً ومنحلاً، فإن الفساد يتردد صداه في الوضع الاقتصادي، والعكس صحيح، كما يرتبط بالنظام السياسي، فالأسرة تقوم بدور الضبط الاجتماعي، لأنها تغرس في نفوس أبنائها الامتثال لقواعد الانضباط المجتمعي، وأوضاعه الاجتماعية ويظهر ذلك من خلال طاعة أفرادها لقرارات الأسرة، والمشاركة في اتخاذ القرار داخل الأسرة، ويؤكد روس (ROSS) بان الأسرة هي العملية التي يتمكن بها المجتمع من تحديد حاجاته وأهدافه، وترتيب هذه الحاجات والأهداف حسب أهميتها، ثم إدكاء الثقة والرغبة في العمل لمقابلة هذه الحاجات والأهداف، والوقوف على الموارد الداخلية والخارجية التي تتصل بهذه الحاجات والأهداف، وعن هذا طريق تمتد وتنمو روح التعاون والتضامن في المجتمع⁽²³⁾، كما يضيف براى (PRAY) في هذا أن تنظيم المجتمع " يكون إحدى عمليات الخدمة الاجتماعية، إذا كانت أهدافه واهتماماته الأولى تتعلق بتكوين وتوجيه العملية التي يستطيع بها الأفراد (المواطنون) تكوين علاقات اجتماعية مرضية و منتجة⁽²⁴⁾.

ويعتقد التغيرات التي طرأت على الأسرة، فقد اهتم علماء الاجتماع بفكرة الضبط الاجتماعي والذي يراه أندرسون (INDERSSON) " بأنه نوع من أنواع السلوك الاجتماعي التي تؤثر في الأفراد أو الجماعات وتوجههم نحو الامتثال للمعايير القائمة أو المرغوبة، وإذا كان للضبط طرق كثيرة يمارس من خلالها فان هدفه النهائي هو الامتثال الذي يمكن اعتباره استجابة ملائمة للضبط، والذي يتضمن لا أداء السلوك المتوقع فقط بل يتضمن كذلك ضرورة تفكير الشخص المتمثل في سلوكه ومعرفته ووعيه بامتثاله هذا"⁽²⁵⁾، ويضيف دوتش (KIW Deutsch) " إن الضبط يحتوى في حقيقته على نقل الرسائل وفهم عمليات الضبط، إن هو إلا فرع من هندسة الاتصال

وليس من هندسة القوة" (26). ولعل الإعلام الجديد من المسائل التي تقتضي هذه المقاربة التواصلية لفهم الظاهرة كحقل تتفاعل فيه التقنية والتواصل كعملية اجتماعية معقدة، بحيث نجد جون لويس بواسي في كتابته الفضاء الرقمي باعتباره إدراك متبادل، إدراكي لأنه يجب إنتاج صور إدراكية، متبادل لأنه يقتل دور الملاحظ لهذا الفضاء طبعاً (27).

ويعتبر الفكر الوظيفي من بين الأطر الضبط في المجتمع، ومن بين أنصاره أمثال مارتون (Merton) حيث يقول " إن الآخذين بهذه المسلمة يعتبرون بان الممارسات و الاعتقادات السائدة تقوم على مبدأ وظيفي ليس بالنسبة للثقافة ككل فحسب، ولكن حتى بالنسبة لكل عضو في المجتمع، فمثلاً الاعتقادات الدينية لا تعزز الاندماج الاجتماعي فقط، ولكن تعمل كذلك في صالح الكيان الجسمي والعقلي لكل فرد" (28)، ولتحقيق الضبط الاجتماعي كما قال آرثر دانهام (A. DUNHAM) يجب "التوائم بين الاحتياجات والموارد الاجتماعية للمجتمع سواءً وظيفياً أو جغرافياً" (29)، وقد أشار فليب كين (PHILIP Cabin) " على أهمية المنظمات والهيئات الوسيطة في تنظيم و تهدئة الحقل الاجتماعي بمختلف تياراته الفكرية" (30). ويؤكد بارسونز (PERSSONS) " أن الأسرة أصبحت أكثر تخصصاً عما كانت عليه من قبل ولكن هذا لا يعني أنها أصبحت أقل أهمية لان المجتمع أصبح يعتمد عليها أكثر في أداء عديد من وظائفه المختلفة" (31). فاستعمال الانترنت مثلاً أوجد بالتالي صدى إعادة تصنيع سلوكيات المجتمع نفسه، سواء في الكلام عند نفس مكان الأفراد بين الآباء والأبناء أو ردود الأفعال بين الزوجين (32).

تعرف القيم بأنها تلك المؤشرات المرغوبة في الوسط الذي يعيش فيه الفرد ويتعامل معه، وهذه المؤثرات من شأنها تحريك النمو السليم للفرد من النواحي النفسية والعقلية والقيمية والأخلاقية، وتوجيه حياته وسلوكه التي يرضاها المجتمع و يقرها لان فيها ايجابية على كيانه واستقراره وتطوره وتقدمه. فالتربية هي " تطوير مواطنين عالميين، مدركين مهمتهم وبيئتهم ومشكلاتها، مسلحين بالمعرفة والمهارات والمواقف والدوافع إزاء العمل على مستوى الفرد والمجتمع نحو إيجاد حلول للمشكلات الراهنة، وتجنب وقوع مشكلات أخرى جديدة في المستقبل" (33). وفي هذا الصدد نجد هيربرت سبنسر في نهاية القرن (19) التاسع عشر مع مؤلفه عقل الثوري ذهب إلى تنمية الأفكار التي توجهنها من بعد بالتكيف مع محيطنا ولكن بتكيف ينطوي على اختيار وهذا التوجه يسمح بتحسين الإنسان وشروط الإنسانية (34) كما نجد كذلك مصطفى مجاهدي في فهمه لعلاقة الوسائط الإعلامية بالشباب، يراه اختلافاً وباعتبارها ثلج إلى علاقة ربية خاصة، لأن النظرة إليها جامدة والتي تعتبر الشباب مجموعة اجتماعية متلاحمة ومتجانسة، وهو ما يخدعنا ويخفي التشابك الاتصالي بين الشباب والمجتمع والنظام الرمزي (35).

ومن أثار هذا الدور المتزن أصبحت العديد من برامج القنوات الفضائية تخرج عن إطار الإلهاء والإفساد، فقد أضحت بعض الفضائيات العربية تبث برامج وموضوعات ورسائل من شأنها إحداث ما يلي (36):

- إثارة الضمير الإنساني نتيجة ما تبثه من موضوعات ومشاهد تنصف بالخلل أو بلا عدل في المجتمع الاسلامي. وذلك عن طريق المشاهد والتحقيقات والأفلام التي تحرك الشعور الوطني والقومي. التلفزيون مثلاً يثير لكنه يوعي، يثقف لكنه يسطح، يشيع العنف لكنه يعمل على إيجاد أفراد مستسلمين خائفين متبلدي الإحساس. تفرز وسائل الإعلام الأشخاص والظواهر والأحداث إلى شرعي أو لا شرعي، لكنها في المحصلة تحافظ جراء هذا الفرز على النظام القائم (37).

- خلق نشاط ذهني لدى المشاهدين، فتجعلهم يكتثرون من تحملهم المسؤولية، في اتخاذ القرار أو القيام بسلوك اتجاه الآخر. وتقربهم من معالي الأمور، وتبصرهم عن الأهداف السامية، وتتقص من رقعة الخواء الفكري في نفوسهم.

- الاعتياد على تنظيم الوقت، وعمل الواجبات، وعدم التأخر عن موعد العمل والمحاضرات والدروس. ليتسنى لنا المحافظة على نظام الحياة.

- التشجيع على: الإقلاع أو الحد من التدخين، شرب الخمر، وتعاطي المخدرات، ولعب الميسر، ببث دعاية تشير إلى أثار وعواقب التدخين السلبية، وغيرها من المشاهد التي تصلح الأخلاق.

- الاهتمام بالجوانب التي تهم المواطن ومشكلاته، بعيداً عن أخبار المتعلقة بالشخصيات الفنية

- عرض سلوكيات صحيحة في سياق جذب المشاهد، بالاهتمام بالقيم التي يتمسك بها المجتمع مثل قيم: التعاون، واحترام الوالدين وكبار السن.

- نشر السلوكيات والمصطلحات اللغوية والمظاهر المعبرة عن تقاليد المجتمع المسلم وعاداته ومنها : التحية باللغة العربية، مقاطعة الملابس الغربية عن قيمنا، و قصة الشعر الغربية .

- نشر الأمن والاستقرار، وذلك من خلال ما تقدمه من برامج ذات مضامين طيبة، ترشد وتدعو الشباب للتمسك بها، وتشجعهم على الاستمرارية والثبات، حيث يتعلمون أن السرقة جرم، والغدر غباء، والخيانة جهل، والعنف ظلم، وعقوق الآباء جريمة، وير الوالدين كرامة وشرف، والزواج حرية، والعفة قناعة .

3- الوسائط المتعددة والتثنية الاجتماعية :

التكنولوجيا الجديدة تخلق فضاءات جديدة تفسر وتكشف من طرف مبدعي الاقتصاد الاجتماعي، فالنتيجة أن هذه التكنولوجيات الحديثة تسمح بمجتمع مدني، وهؤلاء الممثلون عموماً يقصون الوسائط الكلاسيكية لبلوغ الدعم الواضح كالرسائل الالكترونية لمرونة لمس طاقة من المستمعين على مستوى المعمورة⁽³⁸⁾، فالهاتف النقال الشخصي ارتبط جيداً بالمجتمع الصديق أو المجتمع الحقيقي الذي أخذ بالنزول إلى المجتمع العائلة التي تسمح حاضراً بالربط مباشرة بأي شخص أو فرد⁽³⁹⁾. فلا يجب أن ننسى أننا نحن البشر نتصل من خلال علاقة الصداقة، العائلة ليس إلا للتفاعل الجماعي وكذلك من أجل تقاسم خبرات الحياة الخاصة، أحاسيسنا، شعورنا، عواطفنا، تفكيرنا⁽⁴⁰⁾ .

يتألف مصطلح الوسائط المتعددة - Multimédia - من جزئين الأول - Multi - وتعني التعددية، والجزء الثاني - média - وتشير إلى الوسائط الفيزيائية الحاملة للمعلومات كالورق والأشرطة والأقراص السمعية والبصرية المغنطة وغيرها، والعبارة Multimédia تشير إلى صنف من برمجيات الكمبيوتر التي توفر المعلومات بأشكال فيزيائية مختلفة كالصوت والصورة والرسوم المتحركة إضافة إلى النصوص، وتوفر برمجيات الوسائط المتعددة ربطاً محكماً للمعلومات بأشكالها.

وهناك تعريف يعرف الوسائط المتعددة بأنها أجهزة أو وسائل تتسم بالشمول وتعدد الإمكانيات التي تنتجها، حيث توفر نوعاً من البرمجيات تحقق عرض المعلومات في شكل نصوص، مع إدخال كل من عناصر: الصوت والصور الرقمية واللقطات الحية من الفيديو المصحوبة بالصوت، ثم اسطوانات الليزر، وتعرف بالأسطوانات المدمجة، وذلك باعتبارها الوسيط المستخدم.⁽⁴¹⁾

لقد أصبح مفهوم الوسائط المتعددة، أو الوسائط التشعبية أو الوسائط الموحدة (Uni média)، (hypermédia)، (multimédia) يحيل على عوالم سحرية، ومادة تستثير الكثير من النقاشات، وهي حديث الجميع بالأمس القريب واليوم أو في الغد ويعدها البعض بمثابة المستقبل الذي يبني حوله الأمل في تطوير قطاعات مختلفة (عملية أو تربية أو ترفيهية).

ويرتكز مفهوم الوسائط المتعددة على عرض النص مصحوباً بلقطات حية من فيديو وصور وتأثيرات خاصة، مما يزيد من قوة العرض وخبرة المتلقي في أقل وقت ممكن وبأقل تكلفة . وتعني الوسائط المتعددة عرض المعلومات في شكل نصوص مع إدخال كل أو بعض العناصر التالية : المواد السمعية، والمواد المصورة من الفيديو وغيره و لقطات الفيديو الحية⁽⁴²⁾، ويعرفها Galbreath بأنها: « برامج تمزج بين الكتابة والصور الثابتة والمتحركة والتسجيلات الصوتية والرسوم الخطية لعرض الرسالة، ويستطيع المتلقي أن يتفاعل معها مستعينا بالكمبيوتر⁽⁴³⁾ .

وقد أشار شريف كامل شاهين أنه ونتيجة للبحث في اكتشاف الكلمات المفتاحية الواردة في الكتيب العالمي لتكنولوجيا المعلومات المجلد الثاني: (WordInformationTechnology Manual)، توصل إلى الإحالة التالية: Hypermédia see Under multimédia وهذا يعني أن المصطلح "وسائط متعددة" سوف يستخدم بدلاً من الوسائط الفائقة. وقد يبدو أن المصطلح "الوسائط الفائقة" Hypermédia يستخدم كمرادف لكل من النص الفائق Hyper text أو الوسائط المتعددة. Multimédia⁽⁴⁴⁾، وتهدف هذه التقنية إلى دمج تقنية الحاسب الالكتروني والتلفزيون والاتصالات السلكية واللاسلكية في تقنية واحدة . وتتعلق الوسائط المتعددة بالطرق المختلفة للاتصال بين شخص وآخر، أو بين شخصين ومجموعة من الأشخاص، سواء بطريقة التخاطب المباشر أو غير المباشر .

ويتضمن الاتصال غير المباشر تمثيل وتخزين الأفكار والمعارف بصورها المختلفة، (النصوص والصوت والصورة الثابتة أو المتحركة) ثم إتاحة الفرصة للطرف الآخر لاسترجاعها كما هي والتفاعل معها. فالذات الالكترونية تعكس الجماعة الافتراضية التي تنتمي إليها، لأن الفرد ما هو إلا جزء من مجتمعه، وبالتالي فهو يحمل الخصائص التي تتميز بها جماعته ولو بنسبة قليلة، وحسب مقتربات التفاعل الاجتماعي، فإن هوية شخص ما، ما هي إلا بناء اجتماعي (construction sociale) ينشأ من خلال التفاعلات بين الأفراد⁽⁴⁵⁾.

عندما نحلل البناءات الوظيفية والطريقة التي تعاملت بها النظرية السوسولوجية ومع المجتمع ككل، فإننا سوف لاحظ مدى اهتمامها بالعلاقة المتبادلة بين التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي والنظام التعليمي".⁽⁴⁶⁾ فالتغير الاجتماعي يقتزن بالتغير التربوي، ويرتبط به ارتباطاً وثيقاً ويتناسب معه طردياً، فما إن يحدث تغير اجتماعي إلا يكون سبباً في إحداث تغير تربوي، وما يطرح من تغير تربوي أو يستجد إلا ويكون سبباً في تغير المفاهيم الاجتماعية، وتعديل السلوك وتثبيت بعض القيم، والتخلي عن بعض المفاهيم والعادات، وازدياد الثقافة، وتوسيع مدارك المجتمع ووعيهم"⁽⁴⁷⁾. "فمن أهم وظائف التربية تدعيم و تأكيد القيم الأساسية والهامة في سيادة أفراد المجتمع للعمل على استقراره وتقدمه - الضبط الاجتماعي - وكذلك الاتجاهات والمعايير الاجتماعية والأنماط السلوكية المحددة ثقافياً"⁽⁴⁸⁾ إذ ليس هناك قدراً أكثر غرابة من قدر فكرة مجتمع المعلومات، التي تم إدخالها، منذ حوالي ثلاثين سنة، من طرف السوسولوجيين التنبئيين أو المستقبلين، وعلى رأسهم دانيال بال. وقد انتقدت هذه الفكرة من طرف الجميع. أما في الوقت الحاضر، ودون أن يتم إدخال تصحيحات معتبرة عليها، فإن عبارة مجتمع المعلومات، تستعمل عادة بانتظام، خاصة من أصحاب القرار، والمختصين في علوم المادة أو الحياة، إضافة إلى المهندسين، وكل هذا دون أن يكون لها محتوى واضحاً له قوة تفسيرية مقبولة، وقد كانت ولا زالت فكرة "مشكوك فيها" من طرف المشغلين بالعلوم الإنسانية والاجتماعية. أما فيما يتعلق بفكرة مجتمع الاتصال، فإنها تبقى موضوع استعمال محتشم ومتحفظ، وكأن ذلك دليل على أن الأزمات التي يعيشها العصر، تدعو إلى التحلي بالحيطه والحذر فيما يخص واقعية وفعالية الاتصال⁽⁴⁹⁾. فالمعلومات واقعية موافقة على حسب اختيارنا في مكان عالمانا، ولكن بنهايات عملية والمكونة بناء بعلاقتها مع القنوات ذات حركة من طرف أشخاص يتصرفون في العالم الخارجي⁽⁵⁰⁾.

خاتمة :

إن ممارسة القراءة حول الأسرة يقتضي إيجاد هندسة اتصالية تتشكل وفق بيئة تراها تنسجم معها، أعني أنه لا يمكن أن يكون نمط اتصالي محدد يسير في اتجاه واحد في المجتمع، وتختلف هذه الحالة باختلاف الثقافات والطبقات، مادام أنها تعاني من تغيرات ثقافية واجتماعية أكثر حدة وعنفاً أكثر من أي وقت مضى، فقد تنهار الأنماط التقليدية تحت وطأة البيئة الجديدة. ذلك أن الفرد بدلاً من أن يغرس في نفسه وشخصيته منظومة قيمه وفق تقاليد التنشئة الملقنة، يجد نفسه يتلقاه عن طريق وسائط ضوئية تخلق له إدراك يعتقد صائباً في اتخاذ قرار حتى في شخصيته سواء ببناء أسرته سلفاً أو بتربية ابنه بعداً.

إذ تحصى الدراسات الاجتماعية والإنسانية بالإجماع حول مبدأ سوسولوجي مفاده أن التغيرات الاجتماعية أصبحت جد متسارعة ومرنة، سواء على مستوى التغيرات الأساسية البنائية أو التغيرات الصغيرة التي لا تحصى ولا تعد في حياتنا اليومية أو حياة الجماعات الاجتماعية المختلفة كمعدلات الطلاق، جنوح الأحداث، التسرب المدرسي، العنف اللفظي... الخ.

وعليه فإن من أكثر الأمور تحدياً إذاً في إدارة النظم الأسرية هو ضرورة إيجاد نظام فعال يُنظر لبلوغ طموح التربية الإعلامية باعتبارها مطلب ضروري و مهم لأجل المحافظة على الملامح الثقافية والقومية لمجتمعنا، باعتبارها أحد أهم العوامل المؤثرة في تشكيل الهوية، وذلك بإقصاء البرامج التي تثير نوازع العنف والعدوان والتمييز والجنس وكل ما يتنافى مع القيم، بالتقويم المستمر للبرامج الإعلامية والمناهج التعليمية تقوياً علمياً مستمراً وفق احتياجات الفئات الاجتماعية المختلفة ورغباتها، وواقع المجتمع وحاجاته وتطلعاته، ولا يكون ذلك إلا بالتعاون مع رجال الإعلام والتربية لتبسيط العلوم والتكنولوجيا، التي تنشط التفكير العلمي في المجتمع وتزيد من تعميم الفائدة، بدون ابتذال أو خدش للحياء أو مس للذوق العام.

الهوامش

1. راسم محمد الجمال، الاتصال و الإعلام في الوطن العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 2001، ص27.
2. صالح محمد على أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 1998، ص80.
3. وهبة الزحيلي، الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت - دمشق 2000، ص85.
4. السيد عبد الفتاح عفيفي، بحوث في علم الاجتماع المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي، 1996، ص228.
5. تركي راجح، أصول التربية والتعليم، ط2، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1989، ص20.
6. أحمد حسن، اللقاني وفارعة، حسن محمد: التربية البيئية بين الحاضر والمستقبل، القاهرة، عالم الكتب، 1999، ص12.
7. السيد عبد الفتاح عفيفي، بحوث في علم الاجتماع المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي، 1996، ص226.
8. حسين عبد الحميد احمد رشوان، التربية و المجتمع، دراسة في علم اجتماع التربية، مؤسسة شباب الجامعة، 2005، ص ص 80 82.
9. زهير احداث، مدخل لعلوم الإعلام و الاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، ط4، الجزائر، 2007، ص ص 13 14.

10. زهير احداث ، المرجع نفسه، ص 14 .
11. عزي عبد الرحمن، الإعلام الإسلامي، تعثر الرسالة في عصر الوسيلة، حويلات جامعة الجزائر ، العدد 4 ، 1990-1989 ، ص ص35 45.
12. زهير احداث ، نفس المرجع ، ص ص 14 15 .
13. حميد الطائي و من معه ، أساسيات الاتصال — نماذج و مهارات دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع ، الأردن عملن ، الطبعة العربية ، 2009 ، ص 32 .
14. الربيع ميمون: نظرية القيم في الفكر المعاصر بين التنمية والمطلقية. الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص 27.
15. إسماعيل حسن عبد الباري: الديمغرافيا الاجتماعية. مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000، ص 157.
16. محمد أكرم العدلوني ، العمل المؤسسي، شركة الإبداع الخليجي ، دار ابن حزم ، لبنان ، للطباعة و النشر و التوزيع ، ط2002، ص 38 .
17. سميرة احمد السيد ، الأسس الاجتماعية للتربية ، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 2004 ، ص 47 .
18. عبد الغني عماد ، سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم و الاشكاليات ... من الحادثة الى العولة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان ، 2001 ، ص 140 .
19. ينظر عزي إلى الاتصال كظاهرة لاعتبارات يشرحها في أكثر من مرجع، و يحملها إيمانه بأن الظاهرية بوصفها مدرسة فكرية قادرة على التفسير الأمثل للاتصال كفعل يتصل بالبيئة و الثقافة.
20. عبد الله الرشدان ، علم اجتماع التربية ط1، دار الشروق عمان 1999 ، ص ص 314-318 .
21. عبد الباسط محمد حسن ، علم الاجتماع ط1، مركز الإسكندرية للكتاب 1995، ص ص 398-399 .
22. وهبة الزحيلي ، الأسرة المسلمة في العالم المعاصر ط1 ، دار الفكر المعاصر بيروت — دمشق 2000 ، ص 20.
23. عبد المنعم شوقي ، تنمية المجتمع و تنظيمه ط1 ، دار النهضة العربية بيروت 1972 ، ص 40.
24. عبد المنعم شوقي ، المرجع نفسه ، ص 41.
25. إبراهيم ناصر ، علم الاجتماع التربوي ، ط2 دار الجيل بيروت 1996 ، ص 159.
26. إسماعيل علي سعد ، الاتصال الإنساني في الفكر الاجتماعي ط1 ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 2002 ، ص 67.
27. Sophie Chauvin , visualization heuristiques pour la recherche et l'exploration de donnees dynamiques: L'art informationnel en tant que révélateur de sens , paris 8 , 05-12-05, p18.
28. محمد هناد، من اجل علم اجتماع سياسي، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1985، ص 79.
29. عبد المنعم شوقي، تنمية المجتمع و تنظيمه ط1 ، دار النهضة العربية بيروت 1972، ص 39.
30. PHILIPPE Cabin , Communication States of Knowledge , éditions human sciences France 1998 .p201-202
31. سناء الخولي ، التغير الاجتماعي و التحديث ، ط2، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 2003، ص 214 .
32. Marc RELIEU et Barbara OLSZEWSKA, La matérialisation de l'Internet dans l'espace domestique. Une approche située de la vie domestique , Lavoisier | Réseaux 2004/1 - n° 123, p123.
33. صلاح الدين شيوخ ، التربية البيئية الشاملة البيداغوجية و الاندراغوجية ، دار العلوم للنشر ، عناية الجزائر ، 2008 ، ص 17.
34. MIENNEE Jean-François , Rites et Ritualisation en Orientation , éléments pour une lecture anthropologique, Thèse de Doctorat en Sciences de l'Education, 4ème trimestre 2007, p15.
35. Mustapha MEDJAHDI, La jeunesse algérienne et les télévisions satellitaires , usages et formes d'interprétation, CRASC , p05.
36. انظر : المرجع نفسه ، حسين بن عايل احمد يحيى ، ص ص 15 16 .
37. Philippe Breton et Serge Proulx, "L'explosion de la communication", Paris-Montreal, ed. La decouverte, p.183
38. Sandoss BENABID et Gilles GROLLEAU, Les nouvelles technologies de l'information et de la communication , un instrument potentiel au service de l'économie sociale ?, De Boeck Université, innovations ,2003/1 - n° 17 , p149.
39. AKOUN André , Nouvelles techniques de communication et nouveaux liens sociaux, Cahiers internationaux de sociologie, 2002/1 - n° 112, p13.
40. Elisabeth FIVAZ-DEPEURSINGE, L'alliance coparentale et le développement affectif de l'enfant dans le triangle primaire, Médecine et Hygiène, thérapie familiale .2003/3 - Vol. 24, p169.
41. أسماء حسين حافظ، تكنولوجيا الاتصال الإعلامي التفاعلي في عصر الفضاء الإلكتروني المعلوماتي والرقمي، 1 ، الدار العربية للنشر والتوزيع، 2005 ، ص 86.
42. محمد أديب رياض غنيمي، الوسائط المتعددة والشبكات، مجلة: شبكات المعلومات "الحاضر والمستقبل" المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1997، ص 46 .
43. حسنين شفيق، الوسائط المتعددة وتطبيقاتها في الإعلام، ط 2 ، رحمة برس للطباعة والنشر، د.م.ن، 2006، ص 15.
44. شريف كامل شاهين، مصادر المعلومات الالكترونية في المكتبات ومراكز المعلومات، ط1 ، الدار المصرية للطباعة، القاهرة، 2000، ص 79.
45. Valérie h., Lebraty J-F , présentation de soi et expertise dans les réseaux informatiques, guegen n., Tobin_communication , société et Internet, p.112.
46. طارق السيد ، أساسيات في علم الاجتماع المدرسي ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر ، 2007 ، ص 31 .
47. احمد محمد الطيب ، اصول التربية ، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ص 97.
48. سميرة احمد السيد ، الأسس الاجتماعية للتربية ، دار الفكر العربي ، مصر ، ط1 ، 2004 ، ص 47 .
49. الصادق رايح، الإعلام والتكنولوجيا الحديثة، دار الكتاب الجامعي، الطبعة الأولى، الامارات العربية المتحدة، 2004، ص 47-51
50. BOUGNOUX Daniel, Media et société internationale, L'indépassable Chauvinisme de L'information ?, p909.

